لسان العرب

(تابع لما قبل)

وفي مادّة (ل و ص ـ س ١١) « ألاصهُ على كذا اي أدراهُ على الشيء الذي يريدهُ » والصواب « اداره » بتقديم الالف على الرآء

(وفي مادة و ص ص ـ ص ٣٧٥ س ٤) « وَصوَص الرجل عينهُ صغَّرها ليستثبّ النظر » وصوابهُ « ليستثبت النظر » وهو ظاهر

وفي مادة (ا ر ض ـ ص ٣٨٣ س ١٠ ـ ١١)« أَرِضت القرحة.. اذا نَفَشَت ومَجِلت » . رُوي « نفشت » بالنون اوَّلَهُ وصوابه « تفشَّت » بالتآء وتشديد الشين اي اتّسعت

وفي مادة (ب غ ض ـ ص ٣٩٠ س ١٥) « اذا قلت ما ابغضني لهُ فانما تخبر انك مبغَضٌ لهُ واذا قلت ما ابغضهُ اليّ فانما تخبر انهُ مبغَضٌ عندك » .ضُبط « مبغض » الاول بفتح الغين على انهُ اسم مفعول كالثاني وليس بالوجه لانهُ لا يقال فلانٌ مُبغَضٌ لي فضلاً عن ان القرينة تقتضي عكسهُ . وتحرير هذا الموضع ان اهل اللغة منعوا ان يقال ما ابغضني لهُ على معنى ما اشدّ ابغاضي لهُ لان فعل التعجب لا يُبنى من المزيد لكن يقال بهذا المعنى ما ابغضهُ اليّ من بَغُضَ بضم الغين اذا كان بغيضاً عندك .وردّ على ذلك ابن سيده بما حاصلهُ ان كليهما مسموعٌ عن العرب تقول ما ابغضني لهُ وما ابغضهُ اليّ ومؤدّى التركيبين واحد لكن الفرق بينهما في التأويل «فاذا قلت ما ابغضني لهُ فانما تخبر انك مبغِضٌ لهُ واذا قلت ما ابغضهُ اليّ فانما تخبر انهُ مُبغَضٌ عندك »وتمام الكلام على هذه المسئلة هناك .قلنا والعجب

بعد ذلك ان ابن برّي خطّأ الجوهري في ان قولهم ما ابغضهُ لي شاذٌّ قال انما جعلهُ شاذاً لانهُ جعلهُ من أَبغَضَ والتعجب لا يكون من أفعل الا باشدّ ونحوهِ قال وليس كما ظنّ بل هو من بَغُضَ فلانٌ اليَّ . اه . قلنا وانما المخطئ في ذلك ابن برّي لانهُ لا يصح ان يكون قولهم ما ابغضهُ لي من بَغُضَ اللازم وانما يقال من بَغُضَ ما ابغضهُ اليّ وحينئذٍ فلا شذوذ فيه . ولكن بين التعبيرين فرقٌ لان ما أَبغَضهُ لي معناهُ ما اشدّ ما يبغضني وما أَبغَضهُ اليَّ معناهُ ما اشدّ ما أُبغضهُ . واغرب منهُ قولهُ بعد ذلك وقد حكى اهل اللغة والنحو ما ابغضني لهُ اذا كنت أنت المُبغض لهُ وما ابغضني اليهِ اذا كان هو المُبغِض لك وهو تصريحٌ بما ذكرناهُ فكيف لا يكون الاول شاذاً وبين التركيبين هذا الفرق

وجاء بعد ذلك (س ٢١) « واهل اليمن يقولون بَغُضَ جدُّك كما يقولون عَثُرَ جدُّك » وضُبط « عثر » بضم الثاء على حد بَغُضَ وصوابهُ « عَثَر » بالفتح لان هذا ليس من الافعال التي تُبنَى على فَعُلَ بالضم

وفي مادة (خ ر ط ـ في اول المادة) رُوي قول الشاعر

« انَّ دون ما هممتَ بهِ مثل خُرط القتاد في الظُّلمَه »

وبالهامش « كذا بالاصل والذي في شرح القاموس لمثل (اي « لَمِثل خرط القتاد ») وعليهِ فليحرَّر الشطر الاول » اه . قلنا الشطر الثاني على ما هنا من الخفيف وهو من الضرب المحذوف مع الخبن ووزنهُ فاعلاتن مستفع لِنْ فَعِلُن . والشطر الاول ينقص عنهُ سبباً خفيفاً فيمكن تحريرهُ بان يقال « انَّ من دون ما هممتَ بهِ » او « انَّ دون الذي هممتَ بهِ » ولا

يخرج الاصل عن احدى هاتين الصورتين. واما على رواية شرح القاموس فيكون من المنسرح لان بين هذين الوزنين سبباً خفيفاً يزاد في اول شطر المنسرح [1] غير انهُ لما جآء الجزء الاول من الشطر مخبوناً بقي السبب على حرفٍ واحدٍ متحركٍ وهو اللام من « لِمَثَل » وحينئذٍ فلكي يتوازن الشطران يزاد في مقابلتها واوٌ او فآءٌ في اول الشطر الاول ويُترَك باقيهِ على ما حرّرناهُ.

قلنا انّا بعد كتابة ما مرّ راجعنا تاج العروس فوجدناهُ روى الشطر الاول انّ دون « الذي » هممت بهِ وروى الشطر الثاني بزيادة اللام على «مثل» كما ذُكر فبقي البيت ايضاً مختلاً اذ جآء صدرهُ من الخفيف وعجزهُ من المنسرح وهو عجيب

وبقي هنا ان لفظ « مثل » في اول الشطر الثاني ضُبط بضمّ اللام وصوابهُ بفتحها لانهُ اسم انّ في اول البيت

وفي مادة (ر م ع - س ١٧) « يقال هو يرمع بيديهِ اي يقول لا يجيء ويومئ بيديهِ ويقول تعالَ » وفي هذه العبارة تحريفٌ لا يخفى والصواب « يرمع بيديهِ اي يقول لا تجئْ ويومئ بيديهِ اي يقول تعالَ »

وفي مادة (ط و ع - ص ١١١ س ١٠ - ١١) « فمن قال طاع قال يَطاع ومن قال أطاع قال يُطيع فاذا جئتَ الى الامرِ فليس الا إطاعةً ». كذا رُوي هذا اللفظ الاخير بصيغة المصدر منصوباً فماد الكلام ضرباً

(١) واذا كان الخفيف تاماً زيد هذا السبب في آخرهِ وهو الفرق بين هذين البحرين وانما سقط السبب من آخر شطر الخفيف هنا لان الجزء الاخير منهُ محذوف كما ذكر

من اللغو وصوابهُ « فليس الا أَطاعهُ » اي بصيغة المزيد دون المجرَّد . وتحرير المعنى ان طاع وأطاع كلاهما بمعنى الانقياد ولكن اذا اريد الانقياد للامر خاصةً استُعمل فيهِ الثاني دون الاول فتقول امرهُ بكذا فأطاعهُ ولا تقول امرهُ فطاع لهُ

وفي مادة (ف ج ع ـ في اول المادة) « الرزيّة الموجعة بما يكرَم » وضُبط « يكرم » بضم اولهِ وفتح الراء على ما لم يسمَّ فاعلهُ والصواب العكس اي فتح الاول وضم الراء مضارع كَرُمَ عليهِ اذا كان عزيزاً عندهُ

وفي مادة (ف ر ق ع ـ في اواخر المادة) . وفي كلام عيسى بن عمر افرَنْقَعُوا عني اي انكشفُوا » وضُبط كلٌّ من الفعلين بصيغة الماضي للغائبين وصوابهما بصيغة الامر كما يعلم من قصتهِ في ذلك وهي كما ذكرها الجوهريّ في الصحاح قال « سقط عيسى بن عمر عن حمار لهُ واجتمع الناس عليهِ فقال ما لكم تكأكأتم عليّ تكأكُؤَكم على ذي جِنَّةٍ افرنقعوا عني . معناهُ ما لكم تجمعتم عليّ تجمُّعكم على مجنون انكشفوا عني » اه

وفي مادة (ق ف ع ـ ص ١٦٣ س ١١) « والقُفّاعة مَصيدة للصيد » ضُبط « مصيدة » بفتح الميم وصوابهُ بكسرها

وفي مادة (ل م ع ـ ص ٢٠٢) أُنشد لرؤبة

« يدعنَ من تخريقهِ اللوامعا أوهيَةً لا يبتغينَ رافعا »

ورُوي « رافعا » بالفاء ولامعنى لهُ في هذا الموضع وصوابهُ « راقعا » بالقاف

وفي مادة (و ز ع ـ ص ٢٧٠ س ٢١) « والوزيع اسمٌ للجمع

كالغَرِيّ » هكذا بالرآء المهملة في « غريّ » وصوابهُ « كالغَزِيّ » بالزاي المعجمة وهو جماعة الغزاة (ستأتي البقية)

الراديوم وتكون العوالم

قرأنا في تقرير الندوة الفلكية الفرنسوية مقالةً تحت هذا العنوان للمسيو فلاماريون الفلكي الشهير جآء في مستهلّها ما تعريبهُ

ما برحت المدارس منذ عهد أمفيدُوكل وأَرِسطو الى زمن لاڤوازيّاي اي ما ينيف على الفي سنة يلقّن فيها ان العالم مؤلفٌ من اربعة عناصر وهي التراب والمآء والهوآء والنار وهـذه العناصر يضاف اليها اربع كيفيات وهي الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة . وانهُ باتحاد هذه الكيفيات بالعناصر تنشأ الكائنات جمادها وحيوانها وبها تتقوم امزجة الابدان وما يتصل بها من الصحة والمرض وان كل ذلك جارٍ تحت تصرُّف الكواكب وتدبيرها

وكان هذا القول مُعتقَدًا اعتقاد قضيّةٍ يقينية وكل من تمارى فيه عُدَّ مناصباً للعلم . ولذلك فانهُ لما حلَّل لاڤوازيّاي الهوآء وكشف انهُ ليس عنصراً بسيطاً وانما هو مركبٌ من الاكسيجين والازوت احتجّ عليهِ بُومّاي احد اعضآء الندوة العلمية من كيماويي ذلك الاوان بان العناصر المركبة منها الاجسام ما زالت معروفة بعنصريتها عند جميع علمآء الطبيعة في كل عصرٍ ومن كل امة وانها اذا كانت بهذه المثابة منذ الفي سـنة فليس من الجائز ان تُعدّ في هذه الايام في جملة الموادّ المركبة وان يُدَّعَى وجود ذرائع لتحليل المآء والهوآء او يُحاوَل استنباط ادلّة على نفي وجود النار والتراب . قال واذا صحّ

ان النار والهوآء والمآء والتراب ليست بعناصر فقد صار من الجدير ان لا نصدق بعد ذلك بشيء

اما الآن فلا يجهل احدٌ ان الهوآء ليس بعنصر ولكنهُ مزيج من الاكسيجين والأزوت وكذلك المآء فانهُ مركب من الاكسيجين والهدروجين ومثل ذلك النار والتراب فانهما ليسا في شيء من العنصرية . وقد وجد كيماويو القرن التاسع عشر بتحليلهم الاجسام ٦٥ عنصراً هي التي وُجدت اولاً والتي امكن اعتبارها بسيطة . منها الاكسيجين والهدروجين والأزوت والكربون والزئبق والحديد والبلاتين والفضة والذهب والنحاس والقصدير وغير ذلك . ثم وجدوا عدةً اخرى من عناصر هي اقل وجوداً من هذه كبعض الغازات التي وُجدت مركبةً مع الهوآء من مثل الارغون والنيون والكربتون والكزينون وكالغاليوم والاورانيوم والهيليوم والباريوم والراديوم وغيرها . واذا اعتُبرَت كل عناصر الكيمياء الحديثة اجساماً بسيطة فانها بغير شك ستبلغ المئة عمّا قريب ولكنهُ الى الآن لم يُقطَع ببساطة شيء منها بل المرجح العكس وهو انهُ ليس هناك الا عنصرٌ واحد هو اصلٌ لجميعها

ثم انصرف الى ذكر تركب الاجسام من دقائق مؤلفة من جواهر وأن الكون في نظر الفيلسوف يدور على امرين وهما المادّة والقوة وان جواهر المادة لا تفنى والقوة تبقى بحالها فلا جديد في الخلق ولا فنآء في الموجود. ومن هنا انتقل الى الكلام على الراديوم وبيان صفاتهِ وخصائصهِ وما كان لهُ من التأثير على مبادئ الكيمياء الحاليّة مما لا يعدو ما ذكرناهُ قريباً فلا حاجة الى الاطالة بنقلهِ . غير اننا لا بد ان نذكر شيئاً عن كيمياء الاقدمين

وتحقيق ما كانوا يذهبون اليهِ في امر العناصر الاربعة المذكورة في صدر هذا المقال. فان مما يعلمهُ كل احد ما كانوا يحاولون الوصول اليهِ من احالة بعض المعادن الى بعض وانما كانوا يبنون ذلك على اعتقادهم ان المواد باسرها ترجع الى اصلٍ واحد تتعدد مظاهرهُ بتعدد الكيفيات الطارئة عليهِ الا انهم لم يهتدوا الى تحقيق هذه الوحدة من الطريق الحسّي فلبثوا يخبطون في ظلمات التكهن والحدس وربما خُدعوا بما كان يبدو لهم من تغيُّر اعراض بعض الاجسام مما تقدم لنا ذكر شيءٍ منهُ في الكلام على الصناعة المقدسة التي كانت تتعاطاها كهنة المصريين[1] ولم يبرح ذلك شأنهم الى ان جزم المتأخرون ببطلان مزاعمهم واعرضوا عن مزاولة هذا الامر لقطعهم بانهُ ضربٌ من محاولة المستحيل

وقد كان من مذهبهم ان الجواهر الفردة متجانسة لاشتراكها في صفات نفس الجوهر وهي التحيّز والقيام بالنفس وقبول الأعراض. قالوا وانما يُعِدّها للصور المختلفة التي هي النارية والهوآئية والمآئية والارضية قربها وبعدها بالنسبة الى الفلك فكل ما كان اقرب اليهِ كان اسخن والطف وكل ما كان ابعد كان ابرد واكثف. وانما تتركب الاجسام المختلفة من الجواهر المتجانسة بما يعرض لها من الكيفيات الاربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. وهي تنقسم الى قسمين احدهما الاجسام المنطرقة وهي التي تقبل ضرب المطرقة بحيث لا تنكسر ولا تتفرق بل تلين وتنبسط والآخر الاجسام الغير المنطرقة وهي خلافها. والمنطرقة هي الاجساد السبعة

(١) راجع الجزء الاول من السنة الرابعة

ويعنون بها الذهب والفضة والرصاص والاسرُب والحديد والنحاس والخارصيني . وهي تتركب من اختلاط الزئبق والكبريت المتكونين من الابخرة والادخنة اذ الزئبق عندهم بخارية اي مائية صافية جدًّا والكبريت دخانية لطيفة . وتختلف الاجساد المذكورة باختلاطهما على مزاجٍ مُعَدٍّ لذلك الاختلاف فانهما ان كانا صافيين وتمّ انطباخ الزئبق بالكبريت فان كان الكبريت مع صفائهِ ونقائهِ ابيض فالحاصل الفضة وان كان احمر وفيهِ قوّة صبّاغة غير محرقة فهو الذهب وان كانا نقيين وفي الكبريت الاحمر قوّة صبّاغة لكن عقدهُ البرد قبل تمام الطبخ فهو الخارصيني وكأنه ذهبٌ فِجٌّ اي نيء لم يبلغ تمام النضج . وان كان الزئبق صافياً والكبريت رديئاً وفيهِ قوّة محرقة فهو النحاس وان كانا غير جيّدي المخالطة فالرصاص . وان كانا كلاهما رديئين فان قوي الالتئام بينهما فالحاصل الحديد والا فهو الأُسرُب

قالوا ويدل على ان الزئبق عنصر المنطرقات انها عند الذوبان تكون مثل الزئبق . اما الرصاص فظاهر واما غيرهُ فلانهُ عند الذوب زئبقٌ احمر . ويدل عليهِ ايضاً ان الزئبق يعلق بهذه الاجساد وانهُ يمكن ان يُعقَد برائحة الكبريت حتى يكون مثل الرصاص . وهناك استدلالاتٌ أُخَر لاطائل تحتها فلا نطيل بذكرها

واما ما سوى هذه السبعة وهو الاجسام غير المنطرقة فعدم انطراقها اما لفرط الرطوبة كالزئبق واما لفرط اليبوسة كالياقوت واشباههِ . ثم هي اما قوية التركيب كالجسمين المذكورين واما ضعيفة التركيب وحينئذٍ فاما ان تنحلّ بالرطوبة وهي ما كانت ملحيّة الجوهر كالزاج والنوشادر والشبّ او

لا تنحلّ وهي ما كانت دهنية التركيب كالكبريت والزرنيخ

هذا محصّل ما جآء في كتبهم وهو كما تَراهُ بالخرافة اشبه ولكنك اذا عايرتهُ بمعيار الفكر وجدت انهُ مبنيٌّ على اصلٍ فلسفيّ هو ردّ الموجودات كلها الى اصلٍ واحدٍ بسيط مشتركٍ بينها وان لم يتوصلوا الى تحقيق هـذا الاصل . ومما ذكرتفهم معنى عدّهم العناصر اربعة وان مرادهم بالعنصر غير المفهوم اليوم من انهُ الجسم البسيط المتماثل الاجزآء فانهم مهما بلغوا من الجهل فلا اقلّ من ان يميّزوا ان التراب لا يمكن ان يكون عنصراً واحداً وهم يرون فيهِ الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والكبريت والزرنيخ وغير ذلك مما عدّدهُ صاحب المقالة وادّعى انهُ لم يُكشَف حتى كشفهُ كيماويو القرن التاسع عشر فضلاً عن الاجسام المركبة من مثل الياقوت والفيروز والعقيق والبلور والرخام والصوّان والصلصال والملح والنوشادر وغيرها وان لم يعلموا الفرق بين هـذه وتلك لما أنهم كانوا يعدّون كل ذلك مركباً كما عرفت . وانما كان مرادهم بالعنصر ما كان اصلاً للجسم من غير التفات الى قيد البساطة او اعتبار التركيب وقد اشار الى ذلك المسيو منَجّين في كتابهِ تاريخ الاوقيانس حيث قال ما تعريبهُ

« يطلق الكيماويون اليوم لفظ العنصر على كل جسمٍ بسيط مما يقدّرون انهُ لا يشتمل الا على نوعٍ واحد من المادة بحيث لا يمكن تحليلهُ . ولهذا فانّا طالما سمعنا في المدارس الفاظ الهزؤ بجهل الاوائل لتسميتهم المآء عنصراً حالة كونهِ كما تبين لمتأخري الكيماويين مركباً من الهدروجين والاكسجين . وكذلك الهوآء والتراب فان الاول مزيجٌ من الاكسجين

والازوت والثاني يشتمل على موادّ شتى لا يمكن ردّها الى تعريفٍ جامع . واما النار فليست من الجسم في شيء، وانما هي حَدَثٌ او حالةٌ خاصة لبعض الاجسام اذا عُرّضت لحرارةٍ شديدة . الا اني لا اجد معنىً لهذا الهزؤ الذي لا يُثبِت جهل تلك العقول الكبيرة ولكنهُ يُثبِت قلة تدبُّر المستخفّين بالحكمة القديمة

« اما مراد الاولين بالعناصر فهو معنًى اوسع كثيراً وارفع مما نستعملهُ اليوم فانها كانت عندهم عبارةً عن الموادّ الاصلية او العوامل الاولى التي تنشأ عنها جميع الموجودات. فقد اطلقوا العنصر اولاً على المآء والنار وهما العاملان الاصليان اللذان لا بدّ منهما لاتمام عمل الخلق ثم على التراب الذي منهُ جميع الموادّ الجامدة التي تتركب منها الاجسام وعلى الهوآء الذي هو سبب الحياة العضوية واعني بهِ التنفس والذي لولاهُ لكانت الارض كالقمر مجموع موادّ هامدة لا عالماً ذا كائناتٍ حية وكان وجهها قفراً مكسوًّا بالجليد » اه

على ان مباحث المتأخرين ما زالت منصرفةً الى تحقيق ما ذهب اليهِ المتقدمون من ان جميع الاجسام ترجع الى عنصرٍ واحدٍ مُشترَك وقد ذهب پرُوت سنة ١٨١٥ الى ان ذلك العنصر هو الهدروجين لانهُ اخفّ العناصر كلها وقد قدَّر اوزانها فوجدها ترجع الى تضعيف وزنهِ فاستدلّ من ذلك على انها مركبةٌ منهُ . وارتأى لُوكيَاي سنة ١٨٧٣ ان العناصر ينقلب بعضها الى بعض واستدلّ على ذلك بان طيف السُدُم والكواكب البيضآء وهي اشدّ الكواكب حرارةً لا يظهر فيهِ الا خطوط الهدروجين والكواكب التي هي دونها حرارةً يدل طيفها على عناصر اخر يزداد

ثقل جواهرها تبعاً لانحطاط درجة الحرارة فيها . فاستخرج من هذه الادلة ومن فحص طيوف المعادن عند احمآئها ان الاجسام البسيطة كلما ارتفعت حرارتها ازداد تجزُّؤها وان المادّة الاولى للسدُم متى تكاثفت بالتبرُّد يتولد فيها الهدروجين ثم غيره من العناصر التي هي اثقل فاثقل . وعليه فالاجسام البسيطة في الارض ليست الا نتيجة استحالاتٍ عما حدث من مثل ذلك في السديم الذي تكونت منهُ الشمس وتوابعها

على ان هذا القول الذي لم يكن اذ ذاك الا امراً نظريًّا قد اخذ يتحقق الآن باستحالة الراديوم الى هيليوم على ما تقدم ذكرهُ في موضعهِ . واما كيف تمّت هذه الاستحالة فهذا ما سيكون موضع بحث العلمآء وتجاربهم فان ادركوا سرّهُ كان ذلك مبدأ طورٍ جديد في العلم يقبض بهِ الانسان على مفاتيح الكون والفساد ويتصرف في اعنّة الطبيعة كما يشآء

ديوان ابن مامية الرومي

﴿ بقلم حضرة الاستاذ الفاضل رزق الله افندي عبود ﴾

(تابع لما في الجزء السابق)

الفصل الثالث

﴿ مختارات من شعرهِ ﴾

منهُ في الغزل قولهُ في مطلع قصيدة نبوية

صاد الكبود بمقلةٍ وسناءِ وسبى العقول بطلعةٍ وسَنَاءِ
واتى بازرق ثوبهِ متوشحاً فكأنهُ بدرٌ بدا بسماءِ

خجلت شموس الافق منهُ عند ما وافى بتلك الطلعة الحسناء
والقُضب خرَّت سُجَّدًا لما انثنى متخطراً بالقامة الهيفاء

ومنها

وبوجنتيهِ عجائبٌ من بعضها نارٌ يشبّ ضرامها بالماء
قمرٌ باعلى جِلقٍ مستوطنٌ ومنازل الاقمار في العلياء

وقولهُ في مطلع قصيدة نبوية اخرى وفيه توجيه باسماء الالحان الموسيقية والاماكن الحجازية

زمزم الركب في مقام العراقِ ونوى للحجاز بالعشّاقِ
وبقلبٍ شجٍ سعى الوجد لمّا طاف فيهِ الغرام بالاشواقِ
والجوى مذ دعا الجوانحَ لبَّت بالصفا سرعةً لطيب التلاقي
يا نزولاً بالمنحنى من ضلوعي والغضا من بشاشة المشتاقِ
كلما لاح بالأُبيرق برقٌ سال وادي العقيق من احداقي
عجبي للغريق في بحر دمعٍ كيف يشكو الاحراق في الاغراقِ

وقولهُ في مطلع قصيدة نبوية اخرى

عقيق دمعي بروقُ السفح تسفحهُ ولي فؤادٌ لهيب الشوق يلفحهُ
كلمتَ يا بين قلباً بعد كاظمةٍ يضيق ذرعاً وذكر الجزع يشرحهُ
مُحقّقٌ ان دمعي خطٌّ سطو هوًى مسلسلاً في رقاع الخدّ يوضحهُ
والعشق اجملهُ صبر الشجيّ بهِ على الشدائد والسلوان اقبحهُ

وقولهُ

يقولون ليلى في الحجاز محلّها فقلت وهل في غير قلبي مقامها

لئن رحلت عن ناظر الصبّ صورةً فبين ضلوعي وجدها وغرامها
ولو دفنوا تحت الثرى جثتي وقد اتاها الندا منها تلبّي عظامها

ومن رقائقه قوله

سام قتلي عند ما ماس يميل رئم انس من بني الروم كحيل
اغيدٌ في الوجنة الحمرا حوى جنّةً خضرا وريقاً سلسبيل
غزلت اجفانهُ ثوب الضنى لعليلٍ جسمهُ البالي نحيل
سال دمعي عند ما ودعتهُ قائلاً دعني على خدٍ اسيل

وقوله

من هام عشقاً في قدود الملاح غدا بلا شكٍ طعين الرماح
فقل لصبٍ قد هوى في الهوى وقعت في الجدّ فخلِ المزاح
ما لذّة العيش سوى قهوةٍ تشربها على وجوه الصِباح
في روضةٍ لما بكاها الحيا تبسمت فيها ثغور الاقاح
من كفّ ساق اهيف قلبهُ قاس على صبّ كثير الجراح
اقداحهُ بالخمر تنشي كما احداقهُ تُسكر من غير راح

وقوله

وبمهجتي رشأ رشيق معاطفٍ وصوارم الالحاظ منهُ قواطعُ
جمع المحاسن اذ غدا متفرّداً بجمالهِ فهو الفريد الجامعُ

وقوله وفيه توجيهٌ لطيف

لهُ وجهٌ روى عنهُ ابنُ بشرٍ وشعرٌ بات يروي عن حريرِ
وطرز عذارهِ في وجنتيهِ روى شرح المطرّز للحريري

وقولهُ وهو غايةٌ في التوجيه والكناية

بي غزالٌ ما لهُ من مُشبهٍ ذو قوامٍ ينثني كالسمهري
قد روى الورديُّ عن وجنتهِ وقريباً عنهُ يروي الاشعري

وقولهُ وفيهِ تعليلٌ حسن

لا تنكروا حمرةً في وجنتيهِ بدت ياقوتة الحسن لما صاغها الباري
فالقيت في لظى خديهِ تجربةً لان تجربة الياقوت بالنارِ

ومن لطائفهِ قولهُ في بائع زهر

افديهِ بيّاع زهرٍ لا نظير لهُ في وجهه من صنوف الزهر ألوانْ
نخدُّهُ الورد والريحان عارضُهُ ولحظهُ نرجسٌ والثغر اقحوانُ

ومنهُ في الحكم قوله

اذا ابيضَّ من شعر الشباب سوادُهُ فذلك زرعٌ آن منهُ حصادُهُ
لقد ضلَّ ذو جهلٍ بجاهٍ وقوّةٍ على غير ربِّ العالمين اعتمادُهُ
وشتّان ما بين الغويّ بنفسهِ وبين الذي بالعقل زاد رشادُهُ
وافلحَ من زكّى بتقواهُ نفسهُ وخاب الذي دسَّى وزاد عنادُهُ

وقولهُ في الموت من قصيدة طويلة

ليس للناس من الموت مفَرْ فلكم غيّب بدواً وحضرْ
واذا فكر فيهِ عاقلٌ سكب العَبرة من هول العِبَرْ
كيف في دار الفنا يُرجى البقا ان هذا من خيالات الفكَرْ
فاز من قدَّم أُخراهُ على هذهِ الدنيا وبالموت اعتبَرْ

وقولهُ

اري هذا الوجودَ خيالَ ظلٍّ محرّكهُ هو الحيُّ الغيورُ
فصندوق الشمال بطون حوّا وصندوق اليمين هو القبورُ

وقولهُ

لقد حاز عزَّ المال والجاه جاهلُ وفاضلنا في قسمة الرزق فاضلُ
وكم عالمٍ في الناس لا يُعتنى بهِ وينقص في عين الورى وهو كاملُ
وكم جاهلٍ ان مرَّ في زينة الغنى تشير إليهِ في الانام الانامل
وكم من فصيحٍ اخرس الفقرُ نطقهُ واعمى عياناً قلبه وهو ذاهلُ

وقولهُ

اذا افتخر الجهال بالجاه والغنى فان لنا بالفضل جاهاً قد ارتقى
فزينة اهل الجاه بالمال في الملا وزينة اهل العلم بالفضل والتقى

وقولهُ

ان الفقير لدى الاصحاب ممقوتُ وماله غيرَ تجريع البكا قوتُ
من عظم تخفيفهِ يستثقلون بهِ لو أن الفاظهُ درٌّ وياقوتُ
تراهُ في اهلهِ شبه الغريب يُرى وكيفما سار يمشي وهو مبهوتُ
وكم غنيٍّ تراهُ يوم زينتهِ كأنهُ صنمٌ بالجهل منحوتُ

(ستأتي البقية)

البيوت المنتقلة

ما برحت البلاد الاميركية مظهراً لغرائب الاختراعات وعظائم الاعمال

حتى ارتنا المستحيلات في ثوبٍ من الممكنات وجآءت بما لو تمثل للنائم لما كذَّب انهُ من تخييلات الاحلام . وفي جملة ذلك ما توصل اليهِ مهندسوها منذ نحو ثلاثين سنةً من نقل المنازل او رفعها في الهوآء ولهم من الاقتدار على هذا العمل العجيب ما ادهش العالم بعظمتهِ وما ارانا بنآء الاهرام وقلعة بعلبك ضرباً من ألاعيب الولدان

فمن الابنية التي نقلوها من مكانها دار القضآء في سُوث بنّد بانديانا وهي دارٌ عظيمة شاهقة البنآء يبلغ طولها ٥٣ متراً في ١٩ عرضاً فانهم نقلوها الى مسافة ٦٥ متراً عن الموضع الذي كانت قائمةً فيـهِ بعد ان رفعوها متراً وثلاثين سنتيمتراً عن الارض ولم يتغير فيها شيء عن كيانهِ ولم يتزعزع فيها حجر

ومن ذلك منزلٌ كبيرٌ في أَلپِينا من ميشيغان مبني بالحجارة مسطَّحهُ ١٨٠٠ متر مربع نقلوهُ الى مسافة ١٠٧ امتار وقد جروا بهِ في طريقٍ منحنٍ حتى جعلوا صَدَرهُ (واجهته) الى الشرق بعد ان كان الى الغرب ووضعوهُ على أقبآء بنوها لهُ في الموضع الذي نُقل اليهِ . ونقلوا كنيسةً في شيكاغو مبنيةً بالحجارة ايضاً طولها ٤٩ متراً في عرض ٢٨ ومنارة الجرس علوها ٦٩ متراً وثقلها وحدها ١٤٣٠ وسقاً (طنًّا)وجميع ثقل البنآء يبلغ ٦٦٦٥٠٠٠ كيلغرام . فادخلوا تحت قاعدة البنآء عَرَقاً متينة من الفولاذ وشدّوا بعضها الى بعض بمشبَّكاتٍ قويّة من الحديد ورفعوا الـكل بلوالب (براغي) ضخمة وبعد ذلك نقلوا الكنيسة مسافة ١٦ متراً بعد ان رفعوها عن الارض متراً و٦٨ ' وتمّ ذلك كلهُ في اقلّ من اربعين يوماً . والامثلة من ذلك كثيرة لا نطيل بتعدادها

اما في اوربا فلم يبلغوا مبالغ اميركا في عظمة هذه الاعمال وكثرتها ولم يشرعوا في شيء منها الا من نحو عشر سنوات او دونها . واشهر ما يُذكر لهم من ذلك نقل احدى دور المعرض الذي أُقيم في بوداپست عاصمة المجر سنة ١٨٩٦ احتفالاً بمرور الف سـنةٍ على تأسيس المملكة وهي الدار التي خُصت بعرض آلات النقل والركوب ومساحتها نحو ٢٠٠٠ متر مربع . وكان بناؤها على شكل جميل من الهندسة فلما انقضى المعرض ضنّوا بها ان تُهدَم كسائر ابنية المعرض فتركوها على ان تبقى معرضاً دائماً للآلات المذكورة . غير انها كانت مبنية على ارضٍ رخوة فخشوا ان تخسف بها من بعض جوانبها ورأوا انهم اذا هدموها واعادوا بناءها كلفهم ذلك نفقاتٍ باهظة فارتأوا ان يرفعوها ويتركوها معلقةً في الهوآء ريثما يبنون لها اساساً متيناً . فعهدوا في ذلك الى شركةٍ كانت تتولى مثل هذه الاعمال على مثال ما يصنع الاميركان فرفعوا البنآء بجملتهِ في الهوآء وكان علوّهُ ٦٧ متراً وعرضـهُ ٢٥ وبعد ان بنوا اساسهُ بالحجر والسَمَنْت انزلوا البنآء الى مكانهِ فاستقرّ على قواعدهِ بدون ان يحصل ادنى تغيُّر في هيكلهِ المعدنيّ ولا زينتهِ

على ان هذا العمل انما يُتكلف عند ارادة التوفير في النفقة كما كان الغرض من نقل الدار المشار اليها او للمحافظة على بنآء قديم حرصاً على بقآئهِ كما وضعهُ الباني . فما احرى الحكومة المصرية ان تنظر لعل هذه الطريقة تصلح لنقل هيكل انس الوجود من موضعهِ الحالي فانها اولى من هدمهِ واعادة بنآئهِ في موضعٍ آخر كما ظهر من نيتها عندما آنست الخطر عليهِ من مياه الخزّان . ولا ريب ان ذلك فضلاً عن كونهِ اقل نفقةً يكون

أَصونَ لقيمة هذا الاثر النفيس واضمن لحجارتهِ من خطر الهدم والنقل وفيهِ من بُعد الذكر وتداول الالسنة ما يردّ هذا الهيكل من اشهر الآثار المصرية واحقها بالقصد من بعيد الاقطار

التدخين

وردتنا المقالة الآتية من احد الادباء فاحببنا نشرها لما فيها من الفكاهة والتبصرة قال

اكثر الاطباء من ذكر الاضرار التي تنشأ عن التدخين وذهبوا في ذلك مذاهب كثيرة حتى خُيّل للناس ان الموت كل الموت في هذا التبغ مع انهم يشاهدون انفسهم وهم يدخنونهُ لا يشكون بأساً فشأنهم في ذلك كشأن شاربي الخمر ولذا ضعفت ثقتهم بما يُتلَى عليهم من هذه النصائح فلم يعيروها جانب الاصغاء ولعلهم لم يركبوا في ذلك كبير خطاء . وذلك لان الاطباء يجدون اسباب السقم في الشيء الذي ينهون عنهُ ولكنهم يذهلون عن مراعاة العادة والحرفة والمكان والعمر فلا تجيء كل اقوالهم سديدةً دائماً

والغريب في امر هذا التبغ انهُ كلما أوسعهُ الاطباء هجواً اوسعهُ المدخنون احراقاً حتى صار شراؤهُ مقدماً على شراء الدقيق وحتى صار فكاهة الجميع وشاع استعمالهُ حتى بين النساء والاولاد . ومن اجل هذا كان عمدة الممالك من حيث دخلها وعمدة الشعوب من حيث الارتزاق بهِ . ونحن نظن انهُ لولا هذا التبغ وتلك الخمر لرأينا ربع حوانيت البلاد مقفلاً وفي هذا دليلٌ على ان الشرّ مما لا سبيل للمجتمع الى التفادي منهُ

بل ربما كانت الضرورة اليهِ اقوى سلطاناً من الضرورة الى الخير

على ان الذي نراهُ ان اكثر الضرر انما يكون من استعمال الشيء لا من الشيء نفسهِ فانهُ اذا ذُمَّت الخمر من حيث انها تغري الشارب بها حتى يصل الى حدّ الافراط في شربها ويخرج بذلك احياناً الى ارتكاب الموبقات فانها لا تُذَمّ من حيث نفعها في نفسها وما تشتمل عليهِ من الموادّ المقوية للبدن والمنعشة للروح . وكذلك التبغ فانهُ لا يُعَدّ مذموماً في نفسهِ لان هذه المدنية قد اوجبت استعمالهُ واعتيادهُ فصار سلوة المنفرد وتعزية الشجي وعون الكاتب والمتأمل فاذا افرط البعض في استعمالهِ كان اكثر الذنب لمستعملهِ لا لهُ

ولقد عرف الناس انواع الضرر التي تنسب الى التدخين لكثرة ما قرأوا عنها ولكننا قرأنا حديثاً كلاماً لاحد اطباء الانكليز نُشر في احدى صحف بلادهِ قال فيهِ ان من يدخن نصف اوقية من التبغ في اليوم (وهو اقل مقدار يتناولهُ المدخن) يعَدّ كانهُ يدخن من بصر عينيهِ وقد جعل كثرة انتشار دآء السرطان في بلادهِ مسببة عن شيوع التدخين فيها حتى قال انهُ يجد واحداً في الخمسة ممن يتعالجون عندهُ قد اصابتهُ علل العين بسبب تدخينهِ

وكان في جملة ما ذكرهُ من إضرار التبغ بالعين حَسَر البصر وذلك في الذين يدخنون حال القرآءة فان المدخن يجد صعوبةً فيها حتى يضطرّ الى استعمال الزجاجات فتفيدهُ في اول الامر شيئاً ولكنهُ يستمرّ على تدخينهِ دون ان يدري السبب حتى يزداد بهِ الحَسَر ويدنو الى حدّ العمى . وقد كان اخصّ ما ذكرهُ من ذلك الحَسَر الذي يسمونهُ بالحسر اللونيّ (الدلتونِسم)

وهو عدم التمييز بين بعض الالوان فانه يقول انه استقرى مراقبي الاشارات في السكك الحديدية فوجد تسعين في المئة من المدخنين منهم مصابين بهذه الآفة . ولا يُستبعَد ان يكون في قولهِ هذا شيء من الصواب لان الحَسَر بكل حالاتهِ قد فشا جدًّا في هذا العهد وهو وان كان حاصلاً من اسبابٍ شتى جاءت بها المدنية مثل الاكثار من المطالعة واطالة السهر والانغماس في الشهوات فقد يكون للتدخين تأثيرٌ مهمٌّ في ذلك لانهُ ملازمٌ للجميع على التقريبِ سواءٌ سهروا ام رقدوا وافرطوا ام اعتدلوا

ثم انتقل من الحَسَر الى السرطان فقال انهُ يعرف جماعةً من مشاهير الناس اصيبوا بالسرطان وماتوا وهو يعتقد أن موتهم كان مسبباً عن التدخين وتأثيرهِ التدريجي في اللسان حتى ينتهي الى السرطان . ثم ذكر خادماً عندهُ كان يكثر من التدخين فحذَّرهُ من السرطان بعد الذي رأى فيهِ من اثر التدخين فما حذِر حتى اصيب بهِ ومات لديهِ

ولقد كان قول الطبيب موجزاً فلم يذكر كيفية تأثر اللسان بالتدخين من الوجه الطبي ولعل ذلك لانهُ نشر كلامهُ في صحيفة اخبارية فلم يعتقد ان القرّاء يفهمون تعليلهُ . ولكننا مع تسليمنا بان التدخين لا يخلو من اضرار لا نعتقد ان مرضاً كالسرطان يمكن ان يحدث من قبَل التدخين على انهُ كيفما كان الحال فان الناس لو اعتدلوا في كل ما يباشرون من مسلّيات وضروريات لأَمنوا كثيراً من العلل ولكن اكثر الناس لا يعلمون واذا علموا فلا يعملون

مدخّن ياكل « السرطان »

آثار ادبيّة

ديوان ابن التعاويذي ـ اطرفنا حضرة الاستاذ الفاضل البروفسور مرجليوث احد اساتذة العربية في مدرسة اكسفرد الجامعة بنسخةٍ من هذا الديوان النفيس وقد عني بطبعه في هذه العاصمة بعد اخذه عن نسختين في المكتبة البدليانية اختار من كلٍّ منهما ما رآهُ اصحّ روايةً ونفى منهُ كل ما لا يلائم آداب العصر الحالي . وقد صدّرهُ بجدولٍ ذكر فيهِ اسماء الكتب الوارد فيها ذكر التعاويذي مع الاشارة الى مواضع ورودهِ فيها وقفّى عليهِ بنقل ترجمة الناظم عن ابن خلكان وختمهُ بفهرسين ذكر في احدهما اسماء الممدوحين والمهجوّين مع تعيين عدد الصفحة من الكتاب والبيت من القصيدة وفي الثاني المعاني الوارد ذكرها في الديوان

وابن التعاويذي هذا من اكابر شعرآء المولدين من اهل القرن السادس للهجرة . قال ابن خلكان في ترجمتهِ انهُ كان شاعر وقتهِ لم يكن فيهِ مثلهُ جمع شعرهُ بين جزالة الالفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها وهو في غاية الحسن والحلاوة وفيما أعتقدهُ لم يكن قبله بمئتي سنة من يضاهيهِ . اهـ فلا جرم ان طبع ديوانهِ يعدّ احياءً لاثرٍ من اكرم آثار الاولين وقد عُني الطابع بضبطهِ بالشكل الكامل وتولى تصحيح طبعهِ بنفسهِ فجآء دليلاً على فضلهِ واجتهادهِ

وقد تصفحنا بعضاً من قصائدهِ فوجدنا انهُ مع عناية الاستاذ بتحرير روايتهِ وضبط الفاظهِ لم يخلُ من اغلاطٍ يجدر بنا التنبيه الى بعضها قضآءً

لحقَ النقد. وذلك كهمز «معائب» (ص ٤٨ و٤٩) «واطائب» (ص ٤٩) وحقهما بالياء. وكضبط «فتيّة» من قوله في صفحة ٤٩ «شمطاء وهي فتيّة» بضمّ اولها وفتح ثانيها كأنها مصغَّر فتاة وهو غير المقصود وصوابها «فَتِيَّة» بفتح فكسر. ويتبع ذلك رفع «سوداء» بعدها على انها نعتٌ لها والوجه جرّها كما هو مقتضى السياق. ومن ذلك تذكير «النوى» في الحائية (ص ٧٨) وهي مؤنثة. وضبط «جماحي» (ص ٨٧) بفتح الجيم وصوابهُ بالكسر. وجاء في هذه الصفحة (بيت ١٣)

من كفّ مشهوق القوا م مُخطَف الوشاحِ

ولا معنى «لمشهوق القوام» وصوابهُ «ممشوق». وفي صفحة ١١٩ «لو بات من يلحي عليكِ مسهَّدا» وضُبط «يلحي» بضمِ اولهِ وكسر الحاء وصوابهُ بفتحهما. وجاء في صفحة ٢٢٩ «فلو تراها في الدم المُماري» بالياء آخر «المماري» من المماراة وصوابهُ بترك الياء لانهُ اسم مفعول من أمار الدم وغيرهُ اذا اسالهُ. وفي صفحة ٣١٩

لك بالاقبال دارٌ وان رُغِمت اعداؤك الفلكُ

ضُبط «دار» بتنوين الرفع على انهُ اسم بمعنى المنزل وصوابهُ «دارَ» بالفتح فعلٌ ماضٍ من الدوران فاعلهُ الفلك في آخر البيت. وفي صفحة ٣١٨ جُعلت القصيدة التي مطلعها «ان اخلقتْ ثوبَ شبابي الايامْ» من بحر الرجز والصحيح انها من مشطور السريع كالقطعة السينية الواردة في صفحة ٤٨٤ وقد ذكر هناك انها من السريع

على ان هذا كلهُ لا يغضّ من مزية الديوان وان اوجب احياناً خفاء

بعض المعاني بما يقع هناك من التحريف بيد أنا على كل حال نثني على همة الاستاذ ثناءً جميلاً لما توخى من نشر هذا الاثر النفيس وجعلهِ من الطالبين على حبل الذراع بعد ان كان مما لا تتعلق بهِ الاطماع فجزاهُ الله خيراً ولا حرم العربية امثالهُ ممن يقدرونها حق مقدارها ويحرصون على نشر محاسنها واحياء آثارها

والكتاب يُطلب من مطبعة المقطم وهو يقع فيما ينيف على ٥٠٠ صفحة وثمنهُ ستة فرنكات

كلٌّ من عليها فان

حملت الينا جرائد اميركا نعي المرحوم الابرّ المأسوف عليه نجيب افندي العربيلي احد اصحاب جريدة كوكب اميركا المشهورة وهي اول صحيفةٍ عربية أُنشئت في البلاد الاميركية وقد كان رحمهُ الله هو الشارع في انشائها وبهمتهِ ودرايتهِ ثبتت واشتهرت في تلك البلاد وفي البلاد السورية والمصرية

وقد لبى دعاء ربهِ في اوائل الشهر الحالي على اثر سكتة دماغية لم تمهلهُ الا بضع ساعات ولهُ من العمر ٤٢ سنة . وكان رحمهُ الله كاتباً متفنناً حسن الاسلوب محنكاً في السياسة لهُ مشاركة في كثير من العلوم العصرية. وكان من البارعين في علم الحقوق درسهُ في تلك البلاد فنال فيهِ رتبة دكتور وسمي مستشاراً قضائياً ومحامياً امام محاكم نيويرك وغيرها . فنعزي آلهُ وخلانهُ على فقدهِ ونسال لهُ الرحمة والرضوان

فكاهات

العلم (١)

كان في مدينة بلاك پول من انكلترا فتى احترف الخياطة ولم يكن في المدينة سواه فراجت صناعتهُ وكبر شغله وجمع من حرفتهِ مبلغاً ليس بقليل . فاشتهر امره في تلك الجهة وود كثيرون من ابناء الأسر الكريمة ان يصاهروه لما توسموا فيه من زيادة النجاح وما رأوه فيه من الاستقامة وحسن الصفات والصدق في المعاملة . اما الفتى واسمهُ جورج فكان مع ميله الى الزواج ورغبتهِ ان يصير صاحب بيت يأوي اليهِ لا يود ان يتعلق بهذه الرابطة الجديدة قبل ان يتمم اساس عمله ويضمن لنفسهِ مستقبلاً حسناً . وكان مع ذلك لا يفتر عن مراقبة الفتيات اللواتي يقابلهنَّ بعين نقادة فيختبر احوالهنَّ وطباعهنَّ بدون ان يبدو عليه ما يدل على ذلك حتى اتفق ان تعرَّف بفتاة نالت في عينيهِ حظوة كبيرة فاعجبتهُ آدابها وميلها الى العمل والترتيب فقصد والديها خاطباً فلم يرد طلبهُ

وخصص جورج مبلغاً من ماله بنى بهِ داراً فسيحة على شاطىء البحر فكان البناءَ مع بساطته في غاية الاتقان ثم اودعهُ ما شاء من الرياش والاثاث البسيط الثمين . ولما اتم جميع هذه المعدات عقد له على خطيبته في بيت والدها واقام والدها لذلك القران حفلة شائقة حضرها العدد الغفير ودامت مسراتها حتى الصباح . ولما انتهت حفلة العرس اخذ جورج بيد زوجتهِ وخرج بها ذاهباً الى بيتهِ الجديد فسكن الزوجان تلك الدار وهما كملكين في احدى حدائق النعيم . وكان جورج لا يصدق ان ينتهي من عمله في المساء حتى يعود الى بيتهِ فيجد تلك الزوجة الامينة قد اتمت ترتيب بيتها واعدت الطعام والشراب وجلست في الحديقة تنتظر عودة

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

زوجها فلا تكاد تراه قادماً حتى تنهض لملاقاتهِ فتضمهُ الى صدرها ويضمها الى قلبهِ

وفي نهاية السنة الاولى من زواجهما رزقهما الله ولداً ذكراً فدعي باسم ابيهِ واصبح الطفل سلوة والديهِ يقضيان معظم الوقت في مناغاتهِ وملاطفتهِ ولا سيما حين درج وابتدأ في الزحف على ارض الغرفة. وزاد ولعهما به حين ابتدأ يتكلم فجعلا يعلمانهِ الاسمآء والعبارات ويضحكان من لفظهِ وحركاتهِ . ولم يرزقهما الله غير هذا الولد فانصرفت محبتهما اليه ولم يعودا يهتمان من العالم بشيء سواه

وكانت اشغال جورج تزداد تقدماً ونجاحاً فنسب ذلك الى بخت ابنهِ وزاد تعلقهُ بهِ فلم يكن يطيق ان يبتعد عنهُ وهو يود ان يقدم له جميع ما تصل اليه يداه او ما يرى الطفل يود ان يحصل عليه . ولم يمكنه الابتعاد عن ابنه ليرسله الى المدرسة فاستدعى له مربيةً تعلمهُ في البيت . وكان الولد قد ربي على شاطئ البحر فنشأ له ولع عظيم بركوب البحار ومراقبة الامواج والمد والجزر ورأى فيه والده هذا الميل فاصطنع له قارباً صغيراً وكان اذا انتهى من عمل نهاره يركب القارب مع ابنهِ في اكثر الايام ويسيره على مقربة من الشاطئ فكان جورج الصغير يجد لذة عظيمة وخصوصاً عند ما صار والده يسمح له بالقبض على المجذاف وتسيير القارب حسب رغبته . ولما بلغ جورج الثامنة من عمره صار يخرج الى القارب وحده فيركبه ويديره بنفسه فقط

وحدث ذات يوم ان مربية جورج مرضت فلم يكن عليه شيء من الواجبات وملّ البقآء في البيت فخرج الى قاربه فركبه وابتعد به عن الشاطئ وما زال يجذف حتى بلغ البحر الكبير . وادركه الكلال فلم يعد يقوى على التجذيف ثم اشتدت الريح فدفعت قاربه الى عرض البحر وكان التيار يسوقه ويزيد في ابعاده عن الشاطئ حتى لم يعد يرى حوله سوى المياه . وبينما هو كذلك اذ حانت منهُ التفاتة فرأى بالقرب منهُ ثلاثة مراكب حربية كبيرة عليها الراية الانكليزية ولم يكن قد رأى في عمره بعد مركباً كبيراً فادهشهُ هذا المنظر وانتصب في قاربهِ واقفاً يتفرس في هذه المراكب العجيبة. ورآه بحارة المركب المتقدم فاستغربوا وجود

مثل هذا الولد في ذلك الموضع وتيقنوا انه هالك اذا تركوه فدنوا من قاربه وكلموه فاجابهم بجرأة و بطلاقة لسان وطلب منهم ان يصعدوه اليهم • و بعد اخذ رأي الربان في ذلك رموا لجورج حبلاً ما كاد يصل الى يده حتى تسلق بواسطته على جانب المركب كامهر بحار و بلغ ظهر المركب وكان عند صعوده ان سقطت قبعته عن رأسه فوقعت في القارب • وسر الربان جداً من شجاعة الولد فجعل يسأله عن اسمه واهله و بلده وكيف وصل الى ذلك المكان فقال الولد انني ادعى جورج ولكنهُ انكر وجود اهل له ولم يذكر اسم بلده مخافة ان يردوه اليه • ثم قال للربان انني منذ صغري احب ركوب البحار وقد صرت معتاداً لها وبما انه لا اهل لي فاود ان تبقوني عندكم وأعدكم انني اقوم بما يطلب مني من الواجبات فاني وان اكن صغيراً فيداي قويتان معتادتان التجذيف والتسلق على الصاري • ولما قال هذا وثب بسرعة الى صاري المركب ليبرهن على صدق كلامه وتسلق نحو ثلاثة امتار منه في اسرع من لمح البصر فتبسم الربان وقال لا ارى ما يمنع قبول هذا الولد معنا وتربيتهُ ويحدثني قلبي ان سيكون له في المستقبل شأن يذكر غير انه من واجباتنا ان نبحث عن اهله لعل له اهلاً يدرون بمحل وجوده • ثم نشر الربان اعلاناً في بعض الجرائد ذكر فيه وجود الولد عنده غير ان والدي جورج لم تصلهما الجريدة التي فيها ذلك الاعلان فلم يعلما شيئاً عنه • ولما مضت مدة من الزمن ولم يسمع الربان شيئاً عن اهل الولد وكان ذلك ما يتمناه حقيقةً تيقن ان الولد سيبقى له فوجد سروراً عظيماً في حفظهِ والاعتناء بهِ

وكان بعد ما رقي جورج الى المركب ان دارت الريح فدفعت قاربهُ الى جهة البر وما زالت الامواج تلاطمه حتى ارجعته في اليوم الثالث الى الشاطئ الذي ركب منه جورج • اما والدا جورج فلما غاب في اليوم الاول قلقا قلقاً شديداً وبحثا عنه كثيراً فلم يقفا له على اثر وزاد بلبالهما لما لم يجدا القارب ايضاً وخافا ان يكون قد ابتعد به الى حيث لم يعد يستطيع الرجوع فاكترى الوالد المسكين بحارة يبحثون عنهُ على طول الشاطئ فطافوا ورجعوا في اليوم الثاني بدون جدوى • وعلم

الوالدان ان ابنهما لا بد ان يكون في جهة ما من البحر وساعدهما الامل على الانتظار فانتظرا وهما لا يذوقان قوتاً ولا يغمض لهما جفن الى اليوم الثالث حين رأيا القارب مقلوباً على صخر بقرب الشاطئ والقبعة بجانبهِ فتيقنا ان ولدهما قد اصبح طعاماً للسمك وانقطع ما بقي عندهما من الرجآء في ملاقاتهِ فحبسا نفسيهما في البيت عرضةً للاحزان والاشجان وجعلا طعامهما التنهدات وشرابهما العبرات. ولم يمض على ذلك الا القليل حتى اثر الحزن في نفس الوالد فاصابهُ مرض الزمهُ الفراش اياماً وكانت حالتهُ تزداد تأخراً فلم تنجع فيهِ حيل الاطبآء وقضى بعد ايام وهو يردد قبل موتهِ اسم ابنهِ الحبيب . وفاضت روحهُ على صدر زوجتهِ الامينة التي كانت تخفي ما ألم بها من الحزن تحت ستار التصبر وهي تجهد النفس في تعزية زوجها شفقةً عليهِ . ثم بقيت بعده تندب فقيديها فانقطعت عن العالم باسره وانزوت في غرفة من ذلك الكبير بعد ان صبغتهُ بالسواد وآلت على نفسها ان لا تتمتع بعد ذلك بسرور

اما جورج فكان ما رآه في المركب من العدد والمدافع وسائر الآلات وحركات الاعمال قد انساه والديهِ ووطنهُ فلم يعد يهمهُ سوى العمل في المركب وتنظيف الاسلحة وتسلق الصواري وما شاكل ذلك . وكانت المراكب الثلاثة التي التحق بها تؤلف اسطولاً صغيراً تحت قيادة الربان الموجود جورج في مركبهِ وغرضها المحافظة على سواحل بريطانيا ومصادمة المراكب الفرنسوية التي كانت تترصد الانكليز لوجود العداوة اذ ذاك بين تينك الدولتين كما هو معروف في التاريخ وقد حصلت بينهما عدة مواقع بحرية لا سبيل الى تعدادها هنا

فلبثت المراكب المذكورة تمخر عباب البحر ذهاباً واياباً وتتقدم كلما سنحت لها الفرصة الى السواحل الفرنسوية للاكتشاف والاستطلاع . وحدث انها بينما كانت سائرة يوماً عند حدود بحر بيسكي اذ استقبلها خمسة من المراكب الفرنسوية الحربية . ورأى الربان ان لا بد من نشوب معركة بين الفريقين فامر رجالهُ بالاستعداد اللازم وفعل مثله ربان المراكب الفرنسوية . اما جورج فلم يكن

يعرف شيئاً من ذلك غير انهُ سرَّ كثيراً لمشاهدة تلك المراكب فكان يطفر فرحاً وسروراً وكأنهُ قد نال معظم ما تمناه . ولكنهُ ما لبث ان دوى في اذنيهِ صوت البارود وشاهد اطلاق المدافع والمقذوفات النارية فارتعب وارتعد وعلى الخصوص عند ما شاهد لاول مرة سقوط القتلى والجرحى الى جانبيهِ . غير انهُ كان على ما يظهر قد تألف في دمهِ حب القتال وعدم الخوف من الحرب فبهت قليلاً ثم انتفض كأنهُ يزيل عنهُ ما علق بهِ من تلك المخاوف وجعل يثب بين الجنود يحشو لهم اسلحتهم ويساعدهم بقدر ما تمكنهُ سنهُ من ذلك

وكانت المراكب تزيد في الاقتراب بعضها من بعض حتى حاذت المراكب الانكليزية المراكب الفرنسوية وألقى مركب الربان الانكليزي سلاسله الحديدية على مركب الربان الفرنسوي فاصبح الاثنان واحداً وهي طريقة مألوفة في المعارك البحرية القديمة فأُهمل اطلاق المدافع والاسلحة النارية واشتبك جنود الفريقين في معركة اعملت فيها بيض الصفاح ونابت طعنات الايدي وقوة السواعد عن رصاص البنادق ونار البارود

ولم يجبن جورج عند مشاهدتهِ ما حصل ولكنهُ لم يعرف السبب الداعي الى هذا القتال ولم يتمكن من معرفة ذلك بالسؤال من احد لوجود جميع الجنود مشتغلين عنهُ بواجباتهم . ولكنهُ ما لبث ان رأى جندياً مجروحاً مطروحاً الى جانب المركب يستغيث به ليحضر لهُ جرعة من الماءِ . فاسرع جورج واحضر لهُ كأساً من الماءِ ولما سقاه ورآه قد انتعش قليلاً سألهُ عن سبب هذه المعركة وهل تطول ومتى تنتهي . فقال لهُ الجندي ان سبب هذه المعركة هو العداوة القائمة بيننا وبين الفرنسويين من زمن طويل . ثم اشار الى العلم الفرنسوي المنصوب على صاري المركب الفرنسوي وقال لجورج أتنظر هذا العلم المثلث الالوان . فقال جورج نعم انظره . فقال الجندي اذا تمكنا من تنزيله بطل القتال في الحال وحقنا الدماء وربحنا هذه المراكب بكل ما فيها . فقال جورج يا للعجب وهل تقتل الناس ويحصل ما اراه الآن من اجل هذه الخرقة . ولما قال هذا سار وهو يهز رأسهُ متعجباً مما

سمع وكأنهُ يسخر باولئك المتحاربين ولم يقف في سيره حتى بلغ جانب المركب الفرنسوي فوثب اليه ولم ينتبه احد الى جورج لصغر سنهِ ولاعتقادهم ان غلاماً كهذا لا يكترث بهِ . اما هو فتوجه تواً الى الصاري فتمسك بهِ وجعل يتسلقهُ بغاية المهارة والسرعة حتى بلغ اعلاه حيث العلم المنصوب فأخذه من مكانهِ وانزله ثم لفهُ حول ذراعهِ ونزل كما صعد بمنتهى الخفة والرشاقة واسرع بهِ الى الربان الانكليزي . وكان هذا واقفاً يعطي الاوامر لرجالهِ ويراقب حركات القتال فوقف جورج امامهُ ثم نزع العلم الفرنسوي الملفوف حول ذراعهِ فطرحهُ الى الارض امام الربان وقال بلغني انكم تتقاتلون لاجل الحصول على هذه الخرقة فها كها من يدي . ولم يصدق الربان ما رآه بعينهِ وسمعهُ باذنهِ حتى رفع نظره الى صاري المركب الفرنسوي فرآه بدون علم فتحقق ما فعلهُ جورج وفتح فاه يريد الكلام ولكن الحيرة والاعجاب اخذا منهُ مأخذاً عظيماً فوقف وهو لا يدري ماذا يجب ان يقول . ورأت رجال المراكب الانكليزية ان العلم الفرنسوي قد انزل فايقنوا انهم ربحوا المعركة وارتفع منهم هتاف الاستبشار والفرح حتى بلغ عنان السمآء . اما المراكب الفرنسوية فلما رأت علم مركب القائد قد أُنزل تيقنت انهُ لم يقوَ على مقاومة الانكليز وانهُ سلم لهم فابطلوا القتال وسلموا للمراكب الانكليزية فاصبح الاسطول الفرنسوي في حوزتها وأُخذت رجاله اسرى وكان الفوز المبني على تلك المعركة للحركة التي اجراها جورج والتي لم يكن من المحتمل ان يقوم باتمامها احد سواه

وبلغ خبر هذا الانتصار دوائر الحكومة الانكليزية فكافأت امير مراكبها مكافأة جزيلة عاد منها بعض النفع الى جورج فاهدى لهُ الربان مبلغاً من النقود وعينهُ في وظيفة رسمية في مركبهِ فلم يكن لجورج اسعد من تلك الدقيقة التي ارتدى فيها بالثوب الذي طالما اشتهى ان يرتديهُ . ولم تقف مطامع جورج عند هذا الحد فانهُ كان يتوق الى زيادة التقدم وكان يقوم باعباء وظيفتهِ بهمة لا تعرف الكلال ولم يبلغ الرابعة عشرة من عمره حتى اصبح ضابطاً بحرياً معروفاً لدى الحكومة ونال رضى وسرور رؤسائهِ . ولما اتضحت مزيتهُ للحكومة سهلت له سبيل التقدم

فاصبح بعد حين من الزمن رباناً لمركب حربي تقلد رئاستهُ وصار في عهدتهِ فكان جورج هو المسؤول عنهُ

وبعد مضي عدة سنوات مرَّ مركب جورج امام مدينة بلاك پول فتذكر جورج طفوليتهُ وتمثلت امام عينيهِ صورة والديهِ ومربيتهِ والشاطئ الذي كان يقضي اوقاتهُ بقربهِ • ثم تذكر ايضاً قاربهُ الصغير وتلك السياحة التي سار فيها بدون ان يعلم احد فتحركت في قلبهِ عاطفة لم يشعر بها قبلاً ونازعهُ الشوق الى مشاهدة والديهِ فجعلت الدموع تتساقط من مآقيهِ عند تصوره الغم الذي لا بد ان يكون قد استحوذ عليهما عند ما بحثا عنهُ ولم يجداه وهما لا يعلمان مقره فجعل يلوم نفسهُ على عمله الفظيع وصمم للحال ان يزور تلك المدينة بدون تأخير فيسأل عن سلامة والديهِ ويعرفهما بحالتـهِ ويستغفرهما عما سبب لهما من القلق والحزن بجهله وطيشهِ • فامر ان يقترب المركب من الشاطئ ما امكن ثم أُنزل لهُ قارب ركبهُ مع بعض الضباط وكانت البحارة تجذف بهم الى الجهة التي يرشدهم اليهـا جورج حتى بلغوا الشاطئ امام بيتهِ • فصعد مع رجالهِ الى البر من نفس المكان الذي كان ينزل منـهُ صبياً فوقف هنيهة ريثما مسح الدموع المترقرقة من مآقيهِ ثم تقدم الى جهة البيت فرآه كما كان يعهده سوى انهُ مصبوغ بلون اسود فخفق قلبهُ وارتعشت ركبتاه واوشك ان يسقط الى الارض • ولما بلغ الباب طرقهُ ففتح وظهرت منهُ امرأة متقدمة في السن قد رسمت المصائب على وجهها علامات الكبر قبل وقتها وقد انحنى ظهرها وهي تجر خطواتها متثاقلة • فلما وقع نظر جورج عليها عرفها للحال انها امهُ وهمَّ ان يهجم عليها ويقع على قدميها معترفاً بذنبهِ ويطلب منها الصفح ولكنهُ خشي ان تؤثر فيها الحالة الفجائية فتمالك ثم قال لها يا سيدتي اننا سئمنا عيشة البحر فاحببنا ان نصرف بضع ساعات على البر وساقنـا القدر الى دخول هذا البيت فهل تقبلين ان نجلس عندكِ هنيهة • قالت مرحباً بكم وهل استطيع ان اقدم لكم شيئاً • قال نعم خذي هذه (ودفع اليها قبضة من النقود) وارسلي من يبتاع لنا طعاماً لاننا نحب ان نتناول الغداء هنا • فدفعت يده وقالت أبقِ مالك في جيبك يا مولاي فانهُ لم يزل عندي

من فضل الله ما يمكنني من القيام بضيافتكم فادخلوا ان شئتم هذه الغرفة واستريحوا فيها ريثما اجهز لكم الطعام • ولما قالت هذا ادخلتهم الى ردهة فسيحة جلسوا فيها فتركتهم هناك وذهبت لشأنها • اما جورج فكان يرى الغرفة وما فيها كما كانت في نفس اليوم الذي تركها فيهِ فجعل يتنقل من غرفة الى اخرى وكلما تذكر شيئاً انسدل امام عينيهِ حجاب من الدموع الى ان وصل الى غرفتهِ الخصوصية وما فتح بابها حتى شعر بارتعاش عظيم في جسمهِ فاصطكت ركبتاه ولم يعد يقوى على حمل نفسهِ فسقط على كرسي كان بجانبهِ واطلق لنفسهِ العنان فبكى بكاء مراً حتى ارتوى • فمسح دموعهُ وتأمل في الغرفة فوجدها كما تركها تماماً وقد زاد فيها القارب الذي كان يركبهُ فان والدتهُ كانت قد احضرتهُ ليكون آخر تذكار من ولدها ووضعتهُ في غرفتهِ التي كانت تقضي معظم وقتها فيها • ولما اتم زيارة البيت عاد الى رفاقهِ وقوَّى نفسهُ فجلس ولكنهُ تعجب من عدم مشاهدة والده وظنهُ لا يزال في شغلهِ وانهُ لا بد ان يعود في المساء • وبينما جورج جالس رأى البيانو الذي كانت تضرب عليهِ امهُ وكان قد تعلم الضرب على ظهر المركب فكان يراجع اغنية ألفتها والدتهُ وكانت تغنيها لهُ حين يذهب لينام • فنهض الى البيانو وجلس اليهِ وجعل يوقع تلك النغمة ويتغنى بها بصوت مؤثر ولكنهُ لم يصل الى منتصفها حتى رأى باب الغرفة قد فتح ودخلت منهُ والدتهُ وقد اصفرَّ وجهها وظهرت عليها علامات تدل على اختلال الشعور وقالت لهُ من علمك هذه الاغنية يا مولاي • فتوقف جورج ثم قال علمتني اياها والدتي حين كنت صغيراً • قالت واين هي والدتك واين تعلمتها • قال في بلاك پول حيث وُلدت وحيث هي والدتي الآن • قالت والدتك الآن في بلاك پول •• ومن هي • قال هي انت يا اماه وانا هو ابنك العقوق المذنب • ولما قال ذلك وثب بسرعة لمعانقة والدتهِ فلم يصل اليها الا وهي قد فقدت الشعور وهوت الى الارض

وكانت تلك الدقائق من اشد ما يؤثر في النفوس واسرع رفاق جورج فانهضوا الوالدة وابنها واخذوا في معالجتها حتى عادت الى الحياة وجلست بجانب ولدها وهي ترى كأنها في حلم واخذ جورج يتلو عليها ما حصل لهُ ويستغفرها عما سببهُ

لها ولوالده من الحزن والجزع. ثم قال وقد جئت الآن لاجثو امام قدميك اطلب منك العفو وفي يقيني انك لا تضنين بهِ على وحيدك هذا واني انتظر عودة والدي لافعل معهُ ما فعلت معك . واذ ذاك شهقت الوالدة المسكينة وقالت آه يا جورج ان والدك لن يعود الينا فان حزنهُ على فقدك اورثهُ مرضاً ذهب بحياتهِ بعد فقدك بشهر . وكان هذا الخبر ضربة اخرى على جورج زادت حزنهُ وانتحابهُ فوضع عنقهُ على عنق والدتهِ وجعل الاثنان يبكيان بدموع سخية ويقول جورج اواه فقد قتلت ابي .. ولولا وجود رفاق جورج معهما لمات الاثنان من شدة الحزن غير انهم اجتهدوا في التخفيف عنهما ...

ثم تناول الجميع الطعام الذي اعدتهُ تلك الوالدة وقد عاد اليها شيء من قوة الشباب بعد مشاهدة ولدها وآلت ان لا تفارقهُ بعد ذلك غير انهُ اعلمها بالوظيفة المسلمة اليهِ ووعدها ان يزورها مرتين في كل سنة ويصرف معها اياماً . ثم عاد رفاق جورج الى المركب وبات هو ليلتهُ مع والدتهِ وفي الصباح التالي التى بين يديها كيساً من النقود واستأذن في السفر لانهُ لا يمكنهُ ان يتأخر زيادة عن ذلك خوف التبعة . فرافقتهُ تلك المسكينة الى الشاطئ ولما دنت ساعة الوداع لم تتمالك نفسها عن التعلق بعنق ولدها وهي لا تريد ان تتركه . ورأى جورج ان لا يحرم والدتهُ عزآءها الوحيد في ايامها الاخيرة فوعدها ان يستأذن الحكومة في العودة اليها عن قريب فيمكث معها شهراً او اكثر فسرَّت بهذا الوعد وزودتهُ ببركتها ودعائها وبقيت تنظر الى مركبهِ حتى غاب عن بصرها

وصدق جورج في وعده فاستأذن في صرف شهر عند والدتهِ قضاه معها على غاية الدعة والسرور ولم يكن ما يحزنهما سوى ذكرى والده الذي قضى شهيد الحنو والاسف . وما زال جورج في وظيفتهِ يزور والدتهُ كلما سمحت لهُ الفرص الى آخر ايامها
